رؤية لغوية في سيميائية أصوات العربية

الحاء والراء والخاء والميم نموذجا .

أ.د عمار ساسي، أستاذ التعليم العالي .

جامعة – سعد دحلب– البليدة.

المقدمة:

إذا كانت العربية هي اللسان الذي أختاره الله تعالى للقرآن الكريم و كتابه الخالد وآيته الصادقة و معجزته البينة فنزل بها، فليس ذلك إلاّ لتوفرها على جملة خصائص، و تفردها بها عن غيرها من الألسن من أبرزها خصائص أصواتها المنطوية على معاني وأسرار جليلة.ومن ذلك قدرة الأصوات على التشكل والإنسجام للدلالة على معاني الوجود والحياة بعالميها الشهادة والغيب، وهي كلّ ذلك لا تعجز و لا تقصر و لا تتلكأ في الإبانة عن أي معنى من المعاني بدقة فائقة و وضوح تام. قال تعالى << ... لسان الذي يلحدون إليه أعجمي و هذا لسان عربي مبين >> (1). و في الآية دلالات سيميائية عميقة مفادها أن اللسان العربي هو الوحيد الذي يقوى على الإبانة عن معاني الوجود ، و هذا ما يقرر أن الوجود مرتسم في اللسان بحقيقة و أن اللسان راسم بحق لهذا الوجود بعالميه الشهادة و الغيب صوتا ومفردة وتركيبا. ويبقى جهد البحث وعامل الزمن هما الكاشفين .

و قد حصل هذا حقيقة في القرآن الكريم حين نزل باللسان العربي دون الألسن الأخرى. و لما كان أساس اللسان العربي أصواتا، فإنها حتما تتبعه في حملها هذه الأسرار. و نريد بالسر هنا الدلالات السيميائية المحكمة والمرتبطة بالكون والوجود. إننا نذكر هذا انطلاقا من الثابتة التالية: " هل اللسان العربي إلاّ عالم منطوق لعالم مشهود " (2).

و مادامت الأصوات في العربية محدودة و المعاني في الوجود غير محدودة، فلا ريب أن تكون حاملة لدلالات كلية منطوية على أسرار لا يدركها إلاّ العارفون الموفقون للإطلاع على أسرار الوجود بإذن الله . وربما لحكمة ما عميقة قال الله تعالى: << ... ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم و لتعرفنهم في لحن القول و الله يعلم أعمالكم >> (3). لتكون السمة دليلا إلى معرفة الحقيقة، كما يكون الصوت سمة لمعرفة حقيقة الأشياء. ومعنى هذا أنه ليس من قبيل العقل إرسال عبارة الصوت لا معنى له ولا دلالة ولا سمة.

و نرى أن تحل محلها الجملة الثابتة: أن للصوت معنى ودلالة و سمة في اللسان العربي. و ما يعزز هذه القراءة فواتح سور القرآن التي وردت بأصوات صرفة فردية وثنائية وثلاثية و رباعية و خماسية. فهي لم ترد عارية من المعنى و الدلالة والسمة، كما أنها ليست في موضع زيادة،وأنها ليست كلمات ولا جملا على حدّ قول بعض المفسرين، إنما حقيقتها أصوات، ولا بد لهذه الأصوات من معنى و دلالة وسمة، أكتشف أم لم يكشف. وللبحث في الموضوع صلة و العلم حركة متجددة ومجتهدة لا تعرف التوقف ولا القعود ولا الموت. وللعلم فإن موضوع السيمياء هو قائم في كل كائن من كائنات الوجود. و في ذلك قد وردت إشارات دالة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى :(سيماهم في وجوههم من أثر السجود) (4)، (تعرفهم بسيماهم) (5) .

وبنظرة فاحصة فإن الوجود بموجوداته هو سمة تدل على وحدانية الخالق تعالى.

فقوله: << أمن خلق السموات والأرض و أنزل لكم من السماء ماء، فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون >> (6).ذلك أن التأمل في السموات والأرض والحدائق و الشجرة لا يحصل لذاته و ليس هو للترف أو الترفية، إنما هو لمعنى حاصل و لدلالة قائمة ولسمة هادفة هي الوصول إلى حقيقة وحدانية الله تعالى:<< أإله مع الله >>. فلا معنى للوجود إذا لم يكن سمة على الواجد، و لا معنى للخلق إذا لم يكن سمة على الخالق، و هكذا.

في معاني السيميائية الصوتية: إن المتأمل في مادة (س و م) يجدها تعني في أحد وجهيها العلوي ، تدل على إطلاق ما يميز الواحد من الأخرين ومدار كل ذلك لفظ (الاسم). وهو ماتتعيّن به الجواهر والأعراض، ومنه اشتقت الأفعال سمى وأسمى وستامن القوم وأستسمى بعضهم بعضا .

ونجد أيضا هذه المادة الثلاثية على صورة (و س م)، وتحول في معنى وضع العلامة، وهو ماكان يتم في بعض صوره بواسطة الكلي، ومنه السمة والوسم. وقريبة منها الوشم ، وكذلك الوشام الذي هو في أصله ضرب من الصور يوضع على أتفار القطيع ينفصل بعضه عن بعض بحسب مالكيه. ولكن هذه المادة اللغوية ترد على صورة ثالثة في التقليب وهي (س و م). وتظل في نفس الحيز الدلالي من حيث السومة، وهي العلامة. ومنه سوم الفرس، وهكذا تتركب من هذه المادة على هذا الوجه الثالث من التقليب صيغ خمسة: السيمة، السيمى والسيمياء والسيميا ثم السيمياء، وتدل بوجه مباشر ودقيق على مفهوم العلامة. فإذا بحثنا على الرابط بين أطراف المادة اللغوية في مخزونها القاموس وفي صورها الثلاث وجدنا (الاسم) من (س م و) ، والسمة (و س م) والسيمياء من (س و م) (7).كما نجد في تعاريف أخرى أن السيماء هي البهجة ، وهي لفظ عبري يطلق على غير الحقيقي من السحر (8). وفي تعريف أخر لها : السمياء هي السحر . فحاصله إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحسن. وهو مصطلح دخيل دخل العربية دون تغير الأكسجين والتليفون. ويعرفها آخر بالعلامة والبهجة والحسن وهو نوع من السحر (9).

وجاء في مخطوطة تنسب لابن سينا بعنوان:(كتاب الدارّ النظيم في أحوال علوم التعليم)، كتبه محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري أن السيمياء هي علم يقصد فيه كيفية تمزيج القوى التي في جواهر العالم الأرضي ليحدث عنها قوة يصدر عنها غريب. وهو أيضا أنواع، قمته ماهو مرتب على خفة اليد وسرعة الحركة.والأول من هذه الأنواع هو السيمياء بالحقيقة، والثاني من فروع الهندسة والثالث من الشعوذة(10).

وفي مقدمة عبد الرحمن بن خلدون فصل مهم بعنوان (علم أسرار الحروف) يقول فيه وهو يقصد علم أسرار الحروف المسمى بهذا العهد بالسيميا ..... وزعموا أن الكمال الأسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء فهي سارية في الأكوان على هذا النظام ..... فحدث لذلك علم أسرار الحروف، وهو من تفاريع علم السيمياء لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله، تعدتت فيه تآليف البوني وابن العربي وغيرها ..... وحاصله عندهم وثمرته تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلاهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان (11).

وفي هذا العلم اعتبرت الحروف كالطبيعة مقسمة إلى أربعة عناصر: النارية والهوائية والمائية والترابية. ولكل حرف مزاج من هذه الأمزجة على حسب الترتيب الأبجدي على نحو التالي:

الطبيعةالرتبة	1	2	3	4	5	6	7
النارية	أ	هـ	ط	م	ف	س	ذ
الهوائية	ب	و	ي	ن	ض	ت	ظ
المائية	ج	ز	ك	ص	ق	ث	غ
الترابية	د	ح	ل	ع	ر	خ	س

ونلاحظ أن هذه الترتيبة الأبجدية للحروف تقرأ عموديا على النحو التالي:
أبجد/ هوز/ حطى / كلم/ نصع/ فطرق / رست / ثخذ/ ظغس / .

ونجد العلامة عبد الرحمان بن خلدون في موضع آخر يقر بصعوبة مسلك أسرار الحروف، لأنه في رأيه لايجري على قياس عقلي فيقول ... فأما سر التناسب الذي بين هذه الحروف وأمزجة الطبائع أو بين الحروف والأعداد فأمر عسير على الفهم إذ ليس من قبيل العلوم والقياسات ، وإنما مستندهم فيه الذوق والكشف . قال البوني: لا تظن أن سر الحروف ممّا يتوصل إليه بالقياس العقلي وإنما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الإلاهي ...)(12).

ومهما كانت هذه الصعوبة ظاهرة فإن اهتمام علماء العرب كان بارزا وإن اختلفت أنظارهم حين اعتبروه نوعا من السحر أو الشعوذة أو فرعا من فروع الهندسة في أنظار الغربيين الذين اعتبروه علما يهتم بدراسة أنظمة العلامات (الدلائل) في الحياة الإجتماعية. وكان من الطبيعي أن يحصل هذا التباين لتباين الزمن والثقافات والمشارب العلمية والبيئات الجغرافية.

ونذكر أن أول سياق تبلورت فيه فكرة العلامة عند العرب من حيث هي شحنة إخبارية ثم من حيث هي جزء ضمن منظومة متناسقة هو سياق علاقة الفرد الغربي مع الطبيعة وهذا فيما أملاه المناخ الذي فرضته خصوصية البيئة كما سادت في شبه الجزيرة العربية فكان العربي يفسر الأشياء بالعلامات. فبرؤية السماء تتلبد سحبا يدرك أن السماء ستمطر، ومنهم من إذا أمعن النظر في السحاب وتبصر مواقع بعضها بعض مدققا كثافة تراكبيها، تنبأ بما بعد بصحب الأمطار من عوارض طبيعية كالذي يحدث عندما يتجمد ماء الغمام في الهواء فيتساقط بردا، وحتى الأعراض الصحية كانت سياقا مألوفا لدى العربي اتقد فيه بتعظيمهم لمفهوم العلامة أو أهمية رصدها بغية توظيفها فيما تسمى بالاقتران الطبيعي الذي يتولد منه نظام دلالي خاصيته أنه نظام سببي. لأن عناصره ترتبط فيما بينها ارتباطا كليا، وكان علم الأعراض عند العرب دافعا قويا للاستدلال على الأمراض بأماراتها ماكان منها باديا على الجسم، وما كان منها مستترا فيتقفاه الفاحص من تقلبات النفس وتبدل المزاج، ويهتدي إليه بحصر مواطن الأوجاع ومجاري تسرب الألام ، ومن بالغ خطر هذا الاستقراء عند العلامات الدالة كان الناس يعتبرون أن علم الأعراض هو الطب نفسه لأنه مدار الكشف عن المجهول (المرضى) بواسطة المعلوم الذي هو مجموعة القرائن والأمارات الدالة عليه دون سواه). (13). ثم أخذ ينمو شيئا فشيئا إلى وصوله إلى فكر الإنسان الحديث اليوم . وعليه وفي ذات السياق فقد ذكروا أن مصطلح السيمائية جاء من مادة (س و م) التي تعني (العلامة) التي يعلم بها شيء ما أو حيوان ما. ومن هذه المادة جاء لفظ السيما بالقصر والسيماء بالمد، والسيمياء بإضافة (ياء) قبل(الألف)، وبعد (الميم). ومن اللفظ الأخير أخذ منظراللسانيات والسيميائيات العرب مصطلحهم المعروف بالسيميائية بإضافة ياء النزعة أو الياء الصناعية. وعليه فمن الناحية اللغوية الصرفة يمكن أن نقول: (السيموية) ، كما تقول: السيميائية (semiotique) و،(السيموية). وأصل هذا اللفظ إغريقي مركب و هي من بلورة (بيرس): وهي تعني العلم الكلي للسيمات. وليس المقصود بها السيمات اللسانية فحسب، إذ لم تعد إلا مجرد نقطة في فضاء رحب تهيمن عليه أمبراطورية السيمات. ولم تتخذ السيميائية شكل المشروع العلمي حقيقة إلا بفضل (بيرس) و (دوسوسير). وتقعد السميائية اليوم مقعد علم للمعنى، وأنها منهجية العلوم التي تعالج الأنساق الدالة، أي العلوم الإنسانية حيث أنها تعدّ الممارسات السوسيو تاريخية التي تشكل موضوع هذه العلوم الأسطورة ، والدين ، والأدب على أنها اتساق للسيمات.ولنا بعد هذا وانطلاقا من خصائص اللسان العربي المميزة نقول إنه إذا كان لكل شيء في الوجود معنى ودلالة وسمة. فذاك يعني أنها مصطلحات متميزة ومتباينة المعاني. فالمعنى هو ما يعرف باللفظ ، والدلالة هي مايدل على المعنى والسمة هي مايعرف من اللفظ والدلالة.أن السمة تقوم على المعنى والدلالة وتتجاوزهما إلى معنى غائر في الوجود.

قال تعالى:<< فلعرفتهم بسيماهم >> (14) . إذا كان اللسان العربي قد أختاره الله تعالى لسان كتابه العزيز (القرآن) اختيارا إلى يوم الدين، و إذا كان القرآن الكريم قد حوى كل شيء في الشهادة و الغيب، و إذا كان هذا حقا لا مراء فيه، فإنه يفيد في قراءتنا أن أصواته التي تتشكل منها مفرداته وتتركب بها جمله هي محتوية لا محاله على معاني في الوجود. **فالراء هي سمة لمعنى الرحمة** التي هي قيمة أساس في الحياة ،بل قائمة على أساسها الكائنات في الوجود. وهي شعور فطري في الكائن يترجمه سلوك معيّن معروف ومألوف، ذلك أنه بتبصر صوت الراء في الكلمات التالية: – الرحمة – الرحيم – الرحمان– الرحم و الرسول والرفعة والرضى و الرؤية والري ... نجدها حاملة لمعنى الرحمة في مفهومها الواسع و بأشكال و صور مختلفة غير منتهية.

إذ قد يفيد معنى الرحمة سلوك نابع يصدره الإنسان و الحيوان. وقد تقرأ معنى الرحمة من ذات الشيء و وجوده، وقد تستخرج دلالة الرحمة من الشئ وضده، وهكذا يسير المعنى على صور متباينة ومتعددة. و إذا كان اللغويون قد أجمعوا على أن صوت (الراء) يفيد دلالة التكرير واسترسلوا في حركة نطقة بقولهم الراء: يتم نطقها بأن يترك اللسان مسترخيا في طريق الهواء الخارج من الرئتين، فيرفرف اللسان ويضرب طرفه في اللثة ضربات متكررة، وهذا هو معنى وصف الراء بأنه صوت تكراري. هذا بالإضافة إلى حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية عند نطق هذا الصوت (15) وذكر القدماء أن صوت (الراء) يخرج من بين رأس اللسان مع ظهره مما يلي رأسه، و ما يحاذيهما من لثة الثنيتين العليتين. وفي كتاب الرعاية: الراء من مخرج النون غير أنها أدخل إلى ظهر اللسان قليلا. والمراد من ظهر اللسان مما يلي رأسه، وهي صفحته التي تلي الحنك الأعلى (16). ويتكون هذا الصوت حين ينطلق الهواء من الرئتين حتى يصل إلى الحنجرة فيحرك الأوتار الصوتية ويؤثر فيها بالاهتزاز، ثم يغادر الحنجرة فيمر بالحلق، فاللسان أقصاه ووسطه حتى يصل إلى طرفه، فيلتقي طرفه مع اللثة التقاء غير محكم، فيسمح للهواء بالمرور مع سماع لون من الحفيف. وصفاتها (الراء) الجهر والتوسط والانفتاح والاستفال والإذلاق و الانحراف و التكرير(17). و القراءة السيميائية تنطلق منه لتتجاوزه إلى معنى أكبر و أرحب نحسب أنه لا يعارضه ولا ينفصل عنه هو معنى الرحمة التي وسعت كل شيئ. وفي مفهوم الرحمة يدخل النافع ظاهراّ و باطنا، كما قد يدخل الضار ظاهرا لا باطنا،إذ رب ضارة نافعة فالموت ضار لكنه رحمة، و المرض ضار لكنه رحمة و الرياح ضارة لكنها رحمة، وهكذا في سائر الكائنات وحوادث الوجود. **فالرحمة** هي معنى يسري في الوجود يعيشه الإنسان ويتلمسه ويدور حوله ويتقلب فيه ولا يفارقه أبدا – << وفي أنفسكم أفلا تبصرون >> (18). فكان لابدّ لهذا المعني الكبير أن تكون له سمة صوتية يعرف بها. وليس ذلك برأينا إلا في صوت(الراء).في اللسان العربي وإذا تركنا صوت (الراء).وأخذنا صوت (الحاء) نجد اللغويين في وصفه ونطقه يقولون:**الحاء**: صوت مهموس بناظر العين، مخرجهما واحد قال الخليل:(لولا بحة في الحاء لا شبهت

العين) (19). فهي صامت حلقي، احتكاكي (رخو) مهموس(voiceless) مرقق.

يقول الهبيه الرئيس ابن سينا: (والحاء مثلها، إلا أن فتح الذي لا اسم له أضيق، والهواء ليس يحفز على الاستقامة حفزا، بل يميل إلى خارج حتى يفسر الرطوبة ويهزها إلى قدام، فتحدث من انزعاج أجزائها إلى قدام هيئة الحاء (20).

والحاء تخرج من المخرج الثاني من وسط الحلق، ويخرج عندما يمر الهواء من القصبة الهوائية حتى يصل إلى الحنجرة فتنبسط فتحة المزماز، ويتسع مجرى الهواء إلى وسط الحلق، فيضيق مجرى الهواء ليسمح للهواء بالمرور. محدثا نوعا من الحفيف، لذلك كان صوت الحاء رخوا في عرف القدماء احتكاكيا في عرف المحدثين، ولها خمس صفات هي: الهمس و الرخاوة و الاستفال والانفتاح و الإصمات (21).هذا من جهة الوصفة العلمية لصوت الحاء، أما القراءة السيميائية فترى أن الحاء:هي سمة صوتية لمعنى الحياة بمفهومها الواسع قد تلحضا جلية في هذه الكلمات: الحياة– الحلال– الحرام– الحكمة– الحكم – الحلم – الحلة – الحير – الحنان – الحمد– الحمل– الحزم– الحرم – الحمى – الحب– الحبر– الحفل – الحلق– الحفر– حقل – حديقة.....الخ.

و الحياة مفهوم واسع ومركب من معاني جزئية تصب في إناء كلي كبير. فكل معنى من هذه المعاني يشع بشعاع من معنى الحياة وهكذا. فهي توحي إليها تارة بالتصريح وتارة أخرى بالتلميح. ووجودها في أقصى الحلق يعطي دلالة بداية الحياة التي قبلها موت.(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)(22).

وصوت الحاء محموس ومبسوط ومفتوح أسهل ومنساب سهولة الحياة وانسيابها في الوجود حين نتأمل . ويفيد هذا المعنى أن الحياة تخرج من الحلال إذا تحلى به، وتبرز من الحرام إذا تخلى عنه. إذ سمى الحلال للإتيان، وسمى الحرام للامتناع، وهكذا.فالحاء تفيد الحياة بمفهومها الواسع وما يؤدي إليها.و هي أقرب (صوت) إلى عملية التنفس الموقوفة عليها الحياة. ولك أن تتأمل معاني الحياة بمفهومها الواسع في التقليبات التالية: حرم – مرح – حمر – رمح– رحم، وجزيئات تخدم المعنى العام لمفهوم للحياة. بعد هذا أن نلاحظ معاني سيميائيه وضعت على حيوانات و قد قرأها البلاغيون معاني بلاغية كالشجاعة للأسد والمكر والخداع للذئب والحماقة للحمار والبراءة للخراف والتخويف للحية .... الخ وهي برأينا معاني سيميائية وقراءتنا لها أن الإنسان في حقيقته جامع لها و هي موجودة فيه غير أن الراجحة

وصفت .وأضيف إلى هذا أن موقع صدارة الصوت في الكلمة المفردة في اللسان العربي يرجح دائما المعنى ويشير إلى السمة، فإذا قلت: محا .كانت هذه دلالة على الموت. وإذا قلت: حمى .كانت هذه دالة على الحياة.

أما صوت الخاء: فهو سمة صوتية لمعنى من في الوجود هو (الإنقاص) الذي يقابل الزيادة. نعرف ذلك من هذه الأمثلة:

- خرج نقص
- خصم نقص
- خلل نقص
- خمل نقص
- خفق نقص
- خور نقص
- خان نقص
- خيل نقص
- خاب نقص
- خسر نقص
- خاف نقص
- خضر نقص
- خمر نقص
- خجل نقص

خسأ نقص ←

والإنقاص هو معنى كلي في الوجود. فالخروج هو إنقاص إذ نقول: خرج من المجموعة بمعنى نقص من عددها. والذي يقابله بالزيادة هنا هو الدخول. نقول : دخل في المجموعة أي زاد في عددها.وفي معظم أفعال الأمثلة تقرأ منها معنى الضعف الذي يفيد نقص في القوة وليس إلا ذلك. هذه الإفادة تصدق على جملة كبيرة من الأفعال / والأسماء في اللسان العربي.إن أحسن الجرد وأتقنت القراءة وأصيب التأويل.

ماهي سمة (الخاء) في كلمة الخير ؟؟.

ج: لابد من التنبيه إلى أن مفردات اللسان العربي منها ماهو أصل ومنها ماهو فرع عنه، لأن منطق اللغة العربية اشتقاقي. ولفظة (خير) هي من الألفاظ الأصول التي تقابل لفظة (شر)، وهي من الألفاظ الأصول أيضا.قال تعالى: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة)، (23) وقال:(كنتم خير أمة)(24). تنبيها منه إلى معنى الأصلية في المفردتين(خير) و(شر).والملاحظ هنا أن (خاء) الخير تفيد في قراءتنا معنى النقص من الشر. ذلك أن هذه القراءة تكون من الأصل المقابل من حيث لا يمكن قراءة الأصل بالفرع. فالصدق والكذب مثلا لايجتمعان في الذات الواحدة. فإن حصل الصدق غاب الكذب لا محالة.

وإذا كان اللغويون قد أجمعوا على أن صوت (الخاء) هو النظير المهموس لصوت (الغين) فإنهم قد استرسلوا في حركة نطقه بقولهم: .....الخاء لا تفترق في نطقها عن الغين إلا أنها في الأوتار الصوتية لا تهتز، وتهتز مع الغين ولولا ما بينهما من الجهر والهمس لكانت الخاء غينا ، إذ المخرج واحد والصفات متقاربة (25).فالخاء: صامت لصوت احتكاكي (رخو)، مهموس مفخم (مستعل) (26).ويخرج هذا الصوت عندما يمر الهواء بالقصبة الهوائية ويصل إلى الحنجرة، فلا يحرك الأوتار الصوتية ولا يؤثر فيها بالإهتزاز وصفاته خمس : الهمس والشدة ، والانفتاح على الهمس والشدة لئلا يذهب بها إلى الكاف الصماء التي في لغة العجم ، ولا يجر الصوت معها كما يفعله بعض النبط والأعاجم (27). يقول ابن سينا: (فإنها تحدث من ضغط الهواء إلى حد المشترك بين اللهاة والحنك ضغطا قويا مع إطلاق يهتز فيما بين ذلك رطوبات يعنف عليها التحريك إلى قدام، فكلما كادت أن تحبس الهواء زوحمت وقسرت إلى خارج في ذلك الموضع بقوة) (28).

وبنظرة فسيولوجية لفونيم (الخاء) نقول: إن خصائصه أنه لساني حلقي رخو لهوي احتكاكي مهموس ساكن .وفي حركة نطقه تكون الشفتان والفكان مفتوحين كثير، وقمة اللسان مرتكزة على اللثة والأسنان السفلى، ومؤخر اللسان متقوس إلى أعلى ومتلامس مع سقف الحلق الرخو واللهاة الذين يغلقان تجويف الأنف تماما.الشفاة الصوتية لا تشترك في إنتاج الفون(الفون) (29). ويمكن أن نجلي هذا المعنى أكثر بالرسم البياني التالي:

رسم يبين المعنى الأصل والمعاني الفروع:

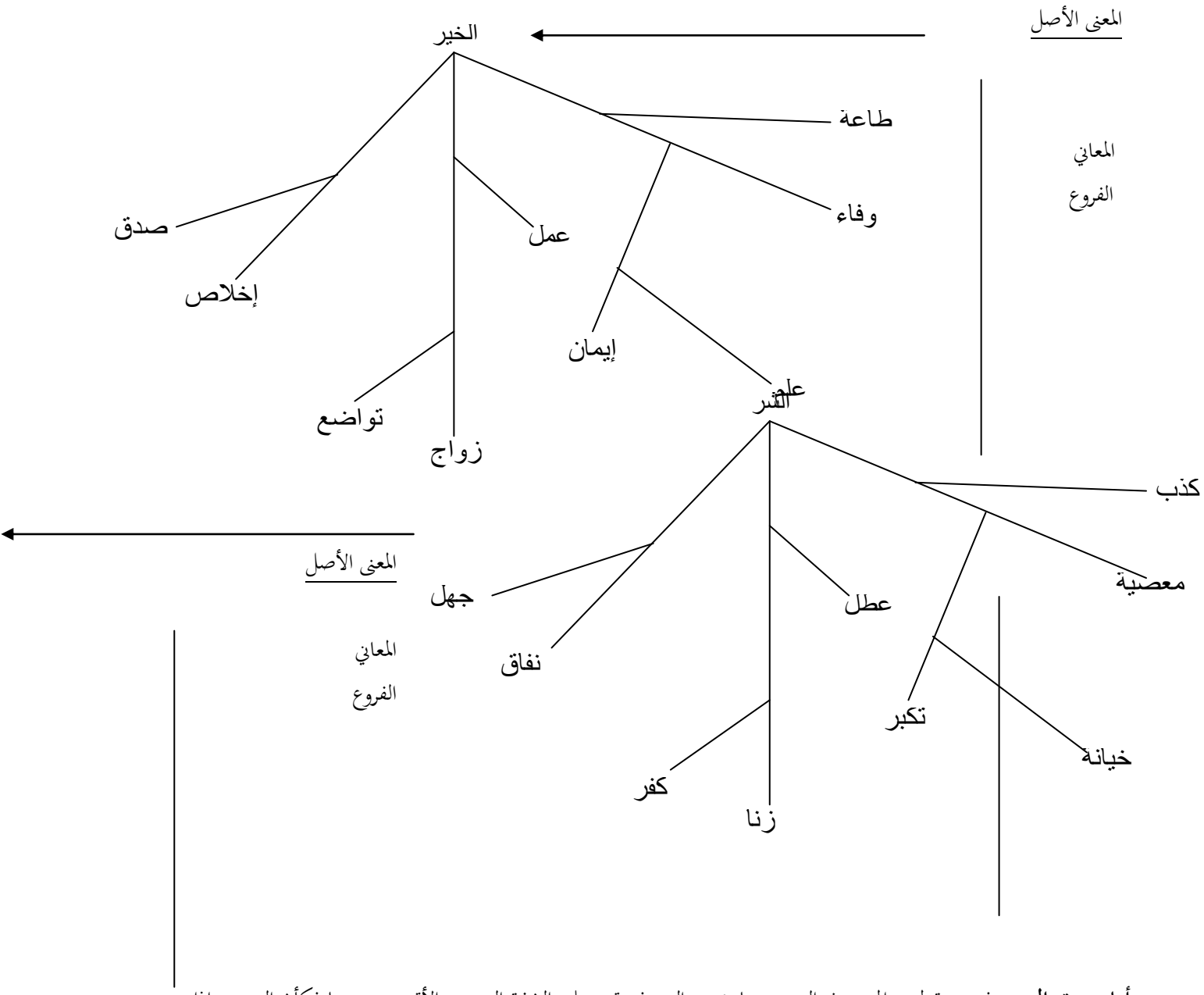

أما صوت الميم: فهو سمة لمعنى الموت في الوجود وما يؤدي إليه. فموقعه على الشفة التي هي الأقصى خروجا فكأن الصوت إذا خرج بدأ (بالحاء) التي تمثل أقصى الحلق وبداية حياة الصوت(وفاعليته) ..... وإذا انتهى فعند (صوت الميم) الذي يمثل موضع أقصى الغلق. فكأن(الميم) هي نقطة (نهاية الصوت)، فالصوت بعد الميم يموت. وينضاف إلى هذا أن الشكل الهندسي الدائري للصوت يفيد إكتمال الدورة التي تعني الموت. وأشارات هذه السمة نلمحها في كثير من المفردات والكلمات مثل: – موت – مرض – منية – محو – مرج ..... وأريد هنا الكلمات التي هي قائمة على هذه الأصول لا الكلمات المشتقات، لأنّ الأشياء تقرأ بأصولها. وإذا كان اللغويون قد أجمعوا على أن صوت الميم يفيد دلالة واسترسلوا في حركة نطقه بقولهم في الميم : يخرج هذا الصوت من الشفتين، وذلك بانطباقهما، لكن هذا الانطباق مع الميم هو أخف من الانطباق من الباء.ويتكون صوت الميم عندما يندفع الهواء من الرئتين ويمر بالقصبة الهوائية حتى يصل إلى الحنجرة فيؤثر في الأوتار الصوتية بالاهتزاز فيحدث الجهر، ثم يجاوز الهواء الحلق واللسان حتى يصل إلى الشفتين فيحدث انضمام الشفتين ويهبط الحنك اللين ، فيمر الهواء من خلال التجويف الأنفي، فيحدث صوت الميم (30).أما صفاته فهي: الجهروالتوسط بين الشدة والرخاوة والإستفال والإنفتاح والإذلاق.أما خصائصه فهو:شفاهي أنفي مجهور ساكن. وفي حركة نطقه تكون الشفتان مطبقتين تماما. ويكون اللسان مستقرا على الفك الأسفل المبتعد قليلا جدا عن الفك الأعلى، وسقف الحلق الرخو واللهاة

منخفضين تماما.و الشفاة الصوتية تشترك في إنتاج لفتح تجويف الأنف تماما. الشفاة الصوتية تشترك في إنتاج (الفون) الذي ينطبق تماما (31).

والميم أخت الباء لأن مخرجهما واحد. وقد فرق علماء الأداء بين الصوتين فقالوا: ولولا الغتة التي في الميم وبعض الجريان الذي معها كانت باء. والميم أيضا مؤاخية للنون في الغنّة، ولذلك أبدلت العرب أحداهما من الأخرى فقالوا: غين وغيم (32). أما إذا كان حبس تام غير قوي، وكان ليس الحبس كله عند المخرج من الشفتين ولكن بعضه إلى ما هناك وبعضه إلى ناحية الخيشوم حتى يحدث الهواء عند اجتيازه الخيشوم والفضاء الذي في داخله دويا حدث (الميم) (33). وأضيف هنا أن موقع الصوت في الكلمة المفردة في اللسان العربي يرجع دائما المعنى ويشير إلى التسمية ، فإذا قلت:

* محا ← كانت هذه دالة على الموت.

* حمى → كانت هذه دالة على الحياة.

وأضيف أنه إذا كان العلامة ابن جني قد ضبط معيار القوة في الصوت لاستنباط الدلالة الكلية له دلالة المفردة، كما فعل ذلك في مثال قضم/ وخضم / وأز وهز ، فكانت الفارق حيث

قال: (فجعلوا أقوى الحرفين لأقوى المعنيين وأضعفهما لأضعفهما) (34).

ويقول ابن جني في سياق هذا المعنى: فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج متلئب عند عارفيه مأموم. وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلون بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما تقدره وأضعاف ماتستشعره ، ومن ذلك قولهم: (خضم) و(قضم). فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب.والقضم للصلب اليابس. نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك. وفي الخبر:(قد يدرك الخضم بالقضم). أي قد يدرك الرخاء بالشدة، واللين بالشطف. وعليه قول أبي الدرداء:(يخضمون ونقضم والموعد الله).فاختاروا (الخاء) لرخاوتها للرطب ، والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث (35).فإن السيميائية الصوتية تعتمد عين الصوت في الموقع الأول. إذ ذاك الذي – برأينا– تجلى دلالته الخفية. كما تتجلى السمة للناظر ظاهرة في وجه الشيئ قال الله تعالى:(سيماهم في وجوههم). (36). وقال: (تعرفهم بسيماهم) (37). فمن خصائصها الظهور لا الإختفاء، أي في السيميائية الظاهر يجلى الخفي. وفي كلام ابن جني الآتي بعض من هذا المعنى إذ يقول: ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر، والحكمة أعلى وأصنع، وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها، وتقديم ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي أخره، وتوسط ما يضاهيا وسطه سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب، وذلك قولهم (بحث) فالباء لفظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والثاء للنفت والبث للتراب.وهذا أمر تراه محسوسا محصلا، فأي شبهة تبقى بعده أم أي شك يعرض على مثله (38).ومن ذلك و بنظرة متأملة مركزة من جوانب صفات نطقية وموقعية وهندسة الصوت في اللسان العربي يمكن الكشف عن ستار الدلالة السيمائي لكل صوت والعاكسة لمعنى لكلي في الوجود.

الخاتمة:

وبعد فهذه رؤية لغوية تتطلع إلى الكشف عن الدلالة السيميائية للصوت في العربية. وقد بدأت بأربعة نماذج صوتية هي الحاء والراء والخاء والميم منطلقا في هذه القراءة من عبارة: لكلّ شيء في الوجود معنى ودلالة وسمة. وما اللسان في حقيقة أمره إلاّ عالم منطوق لعالم مشهود. وإذا كان حدّ اللسان أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فذلك يفيد أن للصوت في العربية معنى ودلالة وسمة. وليس أمرا غريبا على ذي نظر أن يقرر جهد هذا الإجتهاد أن صوت الراء هو سمة صوتية لمعنى الرحمة في مفهومها الواسع وبأشكالها التي لاتحصى، وأن صوت الحاء هو سمة صوتية لمعنى الحياة في مفهومها الكبير الذي وسع كل شيء ..... وأن الخاء هي سمة لمعنى الانقاص في مفهومها العريض وأشكالها التي لاتعرف حدودا. وأن الميم هي سمة صوتية للموت في معناها العظيم الذي يسع كل شيء وبصور لاتنتهي .

وللبحث صلة .

هوامش الدراسة:

1 -النحل 103 .

2-اللسان العرب وقضايا العصر – أ.د. عمار ساسي - ص03 دار المعارف بوفاريك الجزائر 2001 .

3 -محمد 30 .

4 -الفتح 29.

5 -البقرة 273.

6 -النمل 60 .

7 - ماوراء اللغة/ عبد السلام المسدّي ص 77 . تونس مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع .

8 - القاموس الجديد للطلاب. بن هادية علي ، ص 409 .

9 - جبران مسعود- الرائد معجم لغوي عصري ص 458 – ط.7 . 1992- دار العلم للملايين .

10 - السمياء أولها وقواعدها – أريفية ميشال – ص 24 .

11 - المقدمة – عبد الرحمن بن خلدون – ص 2 ص 936- ج2 .دار التونسية للنشر والتوزيع .

12 -المقدمة عبد الرحمن بن خلدون – ج2 ص 2 .

13 -ماوراء اللغة بحث في خلفيات المعرفية أ/ د عبد السلام مسدي- ص 72.

14 -سورة محمد 30 .

15 المدخل إلى علم اللغة- رمضان عبد التواب- ص 48/ط02 ، 1985م/1405هـ مكتبة الخارجي.

16 -نهاية القول المفيد – محمد مكي نصر – ط01. 1349 هـ مصطفى الحلبي-القاهرة .

17 -نهاية القول المفيد – محمد مكي نصر – ص 81 .

18-ذاريات 21 .

19- العين – الخليل – ج 01. ص 57 .

20- أسباب حدوث الحروف – ابن سينا – ص 16 .

21- نهاية القول المفيد – محمد مكي نصر – ص 69 .

22- الإنسان 01 .

23- الأنبياء 35 .

24- آل عمران 110 .

25- المدخل إلى علم اللغة- رمضان عبد التواب ص 54. ط 2 – 1988- مكتبة الخانجي .

26-علم الأصوات – ص 126 .

27- نهاية القول المفيد- محمد مكي نصر-ص 84 .